من الأدب التفاعلي إلى النقد الثقافي التفاعلي
From interactive literature to interactive cultural criticism

هاجر بكاكرية*

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة (الجزائر)، h.bekakria@centre-univ-mila.dz

تاريخ الاستلام: 2022/02/16 تاريخ القبول: 2022/03/29 تاريخ النشر: 2022/06/07

ملخص:

نحاول في هذه المقالة الاشتغال في حقل الأدب الإلكتروني وعلاقته بالثقافة الرقميّة، وكيف له أن يكون مجالا للممارسة النقدية التي توصف عادة بالنقد التفاعلي. وبناء على ذلك سنخصص مناقشتنا لجملة من الأفكار والقضايا المرتبطة بتجربة الأدب الإلكتروني في الخطاب العربي المعاصر، وكذا تجربة النقد التفاعلي عبر نماذج مختارة أهمها تجربة الناقد المغربي سعيد يقطين في كتابه "من النص إلى النص المترابط". ومحاولة الباحث العراقي أمجد حميد التميمي من خلال كتابه: "مقدمة في النقد الثقافي التفاعلي

كلمات مفتاحية: *الثقافة الرقمية، الأدب التفاعلي، النص المترابط، النقد التفاعلي*

Abstract:

This article examines working in the field of digital literature and its relationship to digital culture, and how it can be a field for critical practice described as interactive criticism. We will also discuss the experience of digital literature in contemporary Arab discourse, focusing on the experience of interactive criticism through selected models, the most important of which is the experience Said Yaqtin in his book "From the Text to the Hypertexte". And Amjad Hamid Al-Tamimi in his book: "An Introduction to Interactive Cultural Criticism."

Keywords*: digital culture. Digital literature. Interactive Criticism* Hypertexte

* المؤلف المرسل : هاجر بكاكرية، الإيميل : **h.bekakria@centre-univ-mila.dz**

1. مقدمة :

يرتبط مفهوم الأدب الرقمي بتلك التغيرات الأساسية التي عرفتها مجالات التكنولوجيات والمعلوماتية وأنماط التواصل منذ شيوع المشروع الكبير للعولمة المتمثل -ظاهريا على الأقل- في السعي نحو إنجاز وعدها في التاريخ تحت مسمى العالم قرية صغيرة، مما أسهم في تشكل الوعي بثقافة رقميّة ارتبطت بدورها بما يمكن أن نطلق عليه تعبير " المنعطف الرقمي". وبناء على ذلك سنحاول أن نناقش في العنصر الأول من هذه المقالة أهم مواطن العلاقة بين الأدب والتطور التكنولوجي.

2. العلاقة بين الأدب والتكنولوجيا

تمثل الرقميّة مرحلة أساسيّة من المراحل العضويّة التي شهدها النص الأدبي عبر مسار تطوره، وذلك بعد مرحلتي الشفوية والكتابة، وترتبط المرحلة الرقمية عميقا بما شهده القرن العشرون من فتوحات كبيرة في مجال التكنولوجيا والبرمجيّات والمعلوماتيّة ومجالات التواصل.

وقد تم "انتقال الآداب الإنسانيّة من حضارة الورق إلى حضارة التكنولوجيّا والإلكترونيّات التي تتغلغل في مختلف جوانب الحياة، دون حدّ أو قيّد، ولابد أن تكون مثل هذه الطفرة ذات أثر بالغ ليس فقط على نوع النصوص المقدمة (ورقيّة أو إلكترونية)، إنما على طبيعتها ونوعية الأفكار التي تطرحها ومدى تواؤمها مع معطيات العصر، والتغيرات التي تطرأ عليه خلال فترات زمنية قصيرة، ومتقاربة زمنيا، بحيث لا يترك مجالا لاستيعاب ما قبلها إلا فاجأنا بمستجدات قد تكون أكثر تنوعا وتعقيدا..."[1]

أما التفاعليّة فهي أهم الشروط التي تسهم في تحقيق مسمى الأدب التفاعلي، أو الرقمي/الإلكتروني، وهو أدب يتم عبر الوسائط الرقميّة المتاحة والتي تعرف تطورا مهولا وخطيرا في الوقت نفسه، وقد "باتت التفاعليّة مطلبا مهما على صعيد تلقي النص الأدبي، فهي توفر أجواء تلق لا تقوم على الاستقبال فقط، بل التفاعل الحيّ بين منتج النص والمتلقي من خلال آلية التلقي عبر استعمال الحاسوب، ليجري التعامل مع الشكل الرقمي للنص الأدبي."[2]

ومن هذا المنطلق تم إضافة عنصر رابع للعناصر المكونة لسيرورة الظاهرة الأدبية، بمعنى أن رحلة النص الأدبي أصبحت تحتاج إلى المؤلف والنص والمتلقي والجهاز الرقمي، ممثلا

بشكل كبير في الحاسوب. وهو ما يستدعي حضور نمط جديد من الثقافة يسمى بـ"الثقافة الرقمية"، والتي أصبحت لصيقة بالإنسان المعاصر الذي تحول إلى كائن رقمي بامتياز.

لتعرف "العمليّة الإبداعيّة في ظل ما يعرف الآن بالثورة الرقميّة، مجالات جديدة ومغايرة لتجليها، وذلك عبر الوسائط الإلكترونية، والشبكة العنكبوتية التي مكنت الفرد من خدمات سريعة وبوفرة بالغة. انعكست تجربة هذا التجلي المغاير على صورة الأدب وقراءته، كما غيرت أسئلة نظرية الأدب التي جعلتها تجربة الأدب في تجليه الرقمي، تغادر الثبات وتنفتح على فرضيات جديدة. تسمح بتحرير السؤال الأدبي من تبعات النظريات المألوفة، كما تحرر التفكير النقدي من التحديدات التقليدية حول الأدب والنص والقارئ."[3]

يفرض انفتاح الأدب على الثقافة الرقمية تغييرا في الأسئلة المركزية لنظرية الأدب حيث لن تكون الإجابات عنها بالطريقة التقليدية، بل وجب التركيز على سؤال قيمة الأدب ووظيفته في ظل هذا الراهن الجديد. فما "يحدث في المجال التخيلي الرقمي ليس قطيعة بقدر ما هو عبارة عن تغيير سؤال الأدب، من منتجه المباشر المؤلف/الكاتب إلى القارئ ومن التعامل مع اللغة السردية المألوفة باعتبارها جوهر الفعل المحقق للحالة النصية، إلى اعتبارها مجرد عنصر من عناصر لغوية جديدة تدخل بمنطقها وآلياتها وطريقة تعبيرها."[4]

يبدو أن المهم في هذه الإشكالات هو الباحث في وظيفة الأدب وليس في مفهومه فقط، حيث نعتقد أن مفهوم الأدب بات مرتبطا بشدة مع وظيفته داخل مجتمعات المعرفة.

3. ماهيّة وخصائص الأدب الرقميّ.

يُعرف الأدب الرقمي بأنه ذلك الأدب الذي "يطبق التقنيّات الرقميّة من الصوت، والكلمة، والصورة لخلق تجربة أدبية تفاعليّة..."[5]

يحتاج الأدب الرقمي إذن إلى تطبيق التقنيات المتاحة في جهاز الحاسوب، والمرتبطة مباشرة بالشبكة العنكبوتية وذلك من أجلّ أن توفير نصوص رقميّة وتفاعليّة، مما يمكنها من أن تصنف ضمن مسمى الأدب الرقمي، أو التفاعلي. من جهة أخر لابد أن يكون لهذا النوع من الأدب مؤلف رقميّ ومتلق رقميّ توجد بينهما علاقة رقميّة وتفاعلية.

فالذي يؤلف "النص الرقمي، مستثمرا وسائط التكنولوجيا الحديثة، ومشتغلا بتقنية النص المترابط، وموظفا مختلف أشكال الوسائط المتعددة. هو لا يعتمد فقط على الرغبة في

الكتابة والإلهام الذي يرافق عادة زمن التخيل في النص المطبوع أو الشفهي، ولكنه إضافة إلى ذلك، إنه كاتب عالم بثقافة المعلوميّات، ولغة البرامج المعلوماتية، والتقنية الرقمية، بل يتقن تطبيقها في علاقتها بفن الكتابة، أو يستعين بتقنيين ومبرمجين في المعلوميات."[6]

لقد أصبح المؤلف في مجال الأدب الرقمي مؤلفا افتراضيّا، يوجه نصه إلى قارئ افتراضي، حيث تتم هذه العملية داخل عالم افتراضي، ويشترط في هذا المؤلف أن يكونا عارفا بحيثيات عالم المعلوماتية، الذي يعرف تدفقا هائلا، حيث يصبح كل من يغيب عنه لأيام غريبا على المعلومات والتقنيات الجديدة. وهو ما يحتاج في هذا المجال أن تنتقل البنيات الثقافية من حالتي المشافهة والكتابة إلى حالة الرقمية والرقمنة. لأتن القضية ليست قضية نصوص أدبية فحسب، بل هي قضية ثقافية.

ورغم أن الأدب الرقمي يعرف تقدما هائلا في العالم، إلا أنه لا يزال متواضعا في السياق العربي، وذلك من حيث التأليف الأدبي، أو من حيث الممارسة النقدية التي يطلق عليه بالنقد الثقافي التفاعلي. ويعد الكاتب الرقمي الأردني محمد سناجلة رائد الرواية الرقميّة في السياق العربي المعاصر بروايتيه: شات، وصقيع، كما يحضر أيضا الشاعر العراقي مشتاق عباس معن الذي يعد من رواد القصيدة التفاعليّة، خاصة في قصيدته "تباريح رقمية لسيرة بعضها أزرق"، 2008.

4. نحو نقد ثقافيّ تفاعليّ:

النقد الثقافي التفاعلي هو الممارسة النقدية للأدب الرقمي، وهو نوع من التحليل والقراءة النقدية لهذه النصوص،

ويبدو أن النقد الثقافي التفاعلي لا يزال يحتاج جهودا نقدية لبلورته، وتشكيل معالمه وصياغة مقولاته وأدواته الإجرائية. وبرغم ذلك فهناك من يحاول أن يربطه برافدين هما التواصلية والمشاركة.

4-1. التواصلية:

وتجسدها تقنية النص المتفرع التي تفتح المجال للمتلقي بتلقي هذا النص بطريقة تواصليّة أساسها التجوال " في عالم النص من خلال تحريك للمؤشر عبر التحكم بوساطة الفأرة على الأيقونات التي تمثل المجرى الذوقي والنفسي الذي يحبذه المتلقي."[7]

والنص المتفرع هو نص يظهر على شاشة الحاسوب، ويظهر أول الأمر انطلاقا من الواجهة الأولى، التي تتضمن مجموعة من الأيقونات تمنح المتلقي إمكانية تحريكها وفتح نوافذ أخرى لهذا النص المتفرع، وهي النقطة الأساسية لبداية عملية التواصل بين المتلقي والنص الرقمي.

ويجب على "الأديب أن يمنح المتلقي فرصة حقيقية ليؤدي دوره في صناعة النص بشكله وتأثيره وقيمته بما يتناسب مع اللحظة، ثم يأتي دور المتلقي ليقبل هذه الفرصة ويمنحها رغبته في التفاعل."[7]

2-4. المشاركة:

تخضع الظاهرة الأدبية من المنظور الرقمي إلى مبدأ المشاركة، حيث لا يمكن للكاتب أن يكون طرفا وحيدا في هذه العملية، ولا يجوز كذلك للمتلقي أن يكون هدفا متفردا. بل وجب المشاركة بينهما.

لهذا فإن "قيام النقد الثقافي التفاعلي على أصل فكري مبتن على المشاركة يعزز قدرته على ملاحقة التفاعلية ورصد نجاحاتها وإخفاقاتها، وتقويم مسيرتها في حث المتلقين على التواصل والاستمرار في التعالق مع النص الأدبي التفاعلي الرقمي."[8]

5. تجربة النقد الثقافي التفاعلي في الخطاب العربي المعاصر

ينشأ النقد الثقافي التفاعلي بنشأة الأدب الإلكتروني، إي إن هذا النوع من النقد هو محاولة مسائلة للمقولات والطرق التي يتشكل عبرها الأدب الإلكتروني. وقد بدأ النقد العالمي يعرف مثل هذه المحاولات، حيث عرف تطورا ملحوظا في العالم الغربي، بينما لا يزال يتطور في الكتابات العربية. ورغم ذلك فإننا يمكن أن نقف عند نماذج من الكتابات العربية التي تحاول شرح ومناقشة أهم الأفكار والقضايا المتعلقة بهذا المجال، ويمكن أن نذكر العناوين الآتية.

-سعيد يقطين: من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، 2005.
-فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، 2006.
-محمد سناجلة: الرواية الواقعية الرقمية، 2005.
-زهور كرام: الأدب الرقمي، 2008.
-أمجد حميد التميمي: مقدمة في النقد الثقافي التفاعلي، 2010.
- إبراهيم أحمد ملحم: الأدب والتقنية، 2013

وتعد هذه العناوين نماذج فقط، حيث إننا نجد جملة من الدراسات والمقالات المنشورة في المجلات والتي تبحث في علاقة الأدب والرقمية، وكذا الثقافة التفاعلية عبر الوسائط.

1-5. من النص إلى النص المترابط عند سعيد يقطين.

يقدم الناقد المغربي سعيد يقطين تجربة نقدية تربو عن الثلاثة عقود، تنقل من خلالها بين موضوعات ومباحث أدبيّة عديدة، متخصصا في مجال السرديّات، ونظرية الأدب، مما جعله يقدم دراسات متنوعة نستحضر منها ما يرتبط أساسا بهذا المقام، وهو كتابه: "من النص إلى النص المترابط" مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي الصادر في طبعته الأولى عام 2005.

يستعمل "سعيد يقطين" في دراسته هذه مفهوم النص المترابط بديل عن التسميات الأخرى النص الرقمي، والنص التفاعلي والنص الإلكتروني، ويقول في ذلك "أما النص المترابط فأستعمله كمقابل لـ Hypertexte وهو "النص" الذي نجم عن استخدام الحاسوب وبرمجيّاته المتطورة والتي تُمكن من إنتاج النص وتلقيه بكيفية تبنى على الربط بين بنيّات النص الداخليّة والخارجيّة."[9]

وبناء على ذلك لا يمكن للنص المترابط أن يكون إلا باستخدام الوسائط الإلكترونية، وبرمجيّات الحاسوب المتطورة وربطه بالشبكة العنكبوتيّة، مما يسهل عملية التواصل، ويحقق التفاعل باعتباره شرطا محوريا وأساسيا في هذا النوع من الأدب.

ويرى يقطين أن الحاسوب ليس أداة فحسب، بل هو أداة وشكل ولغة وفضاء وعالم، فهو بمعنى أشمل: منتوج وأداة إنتاج وفضاء للإنتاج، وعلاقات إنتاجية. حيث تتحقق كل هذه الأبعاد في الإبداع التفاعلي من خلال النص المترابط..[10]

لا يجب أن ننسى أن هذه الأفكار تعود إلى السنوات الأولى لهذا القرن؛ بمعنى أنها قد تكون قديمة نوعا ما، خاصة في ضوء التغيرات المتسارعة "جدا" في مجال الوسائط والمعلوماتية، فلم يعد الحاسوب بشكله ودوره الذي يتحدث عنهما سعيد يقطين على الشاكلة نفسها، بل أصبحنا نواجه يوميا كثيرا من أنواع وأشكال الحواسيب والهواتف. وبرغم ذلك يبقى المؤلف هو كاتب رقمي والمتلقي كذلك والنص بينهما رقميّ أصلا.

ويحاول سعيد يقطين أن يناقش وضعية الثقافة العربية في ضوء التغيرات الرقميّة التي عرفتها المجتمعات عبر مختلف جهات العالم، خاصة في و.م.أ وكندا، وهي أيضا مقولة

تحتاج إلى مراجعة، ويرجع ذلك إلى أن استعمال المعلوماتية وتوظيفها في التفاعل الإبداعي قد عرف انتشارا ملحوظا في معظم أنحاء المعمورة.

ويعتقد يقطين أن "دخول عصر المعلومات بالنسبة إلينا نحن العرب معناه دخول مرحلة جديدة من العمل الثقافي، وتحصيل المعلومات، والعمل من أجل المساهمة في تطوير ممارستنا الثقافيّة لتتلاءم مع العصر، عصر الإعلاميات والمعلوميات. ودخول العصر الجديد معناه الانتقال إلى ممارسة ثقافة جديدة وخلق وسائل جديدة للتواصل (الوسائط المتفاعلة)، والعمل على تطويرها باطراد وتوظيفها في مختلف المجالات (الاقتصاد، التربية، الإبداع، النشر) ..."[11]

يثير هذا القول قضية أساسية ترتبط بالثقافة العربية، وممكنات انتقالها من حالة إلى أخرى وذلك بالانتقال بالتصور التقليدي المشكل عن الثقافة إلى تصور جديد يتعامل مع الثقافة والأدب بعيدا عن المفهوم النخبوي. حيث إن الأدب الرقمي قد ساوى بين الكاتب والمتلقي، وأصبحت الأهمية للوسيط الرقمي وليس لأحدّ منهما.

يُعد الفصل الثاني من كتاب سعيد يقطين "من النص إلى النص المترابط"، هو الأقرب إلى الممارسة النقدية الرقميّة، إذا اعتبرنا أن الفصل الأول بمباحثه المختلفة هو تجميع لمقالات ودراسات سابقة، وإذا علمنا أن معظم هذه الدراسات قد أنجزها الباحث عام 1999، وهو ما يصرح به في مقدمة كتابه.

ويعرف سعيد يقطين النص الإلكتروني/الرقمي بأنه "مفهوم جديد جاء نتيجة التطور الذي حققته الإعلاميّات، ويتم توظيفه للدلالة على النص الذي يتحقق من خلال شاشة الحاسوب بناء على تطوير رسائل الاتصال الحديثة من جهة، ولخلق أساليب جديدة من التواصل بين الناس تتعدى ما كان معروفا مثل الهاتف والفاكس إلى التواصل المتكامل ب/مع واسطة جديدة للاتصال والتواصل والإبداع، بشروط ومظاهر مختلفة."[12]

تبقى دراسة سعيد يقطين مهمة في بلورة وتبيين بعض معالم الأدب الإلكتروني، غير إن اللافت فيها أنها تثير جملة من الأسئلة ذات العلاقة الوطيدة بواقع الثقافة الرقمية في الوطن العربي، ومدى تقدمها وانتقالها من حالة إلى أخرى، كما أنها تعد من الدراسات الأولى في هذا الحقل المعرفي مما يجعل بعض معلوماتها تتفق والسياق الزمني الذي كتبت فيه، وفي ضوء

التغيرات الجديدة والسريعة المرتبط بمجال الرقمية، حيث أصبحنا نسمع بالمواطن الرقمي، والوطن الرقمي، والمجتمع الرقمي وغيرها من المفاهيم الشائعة في هذا المجال.

5-2. النقد الثقافي التفاعلي عند أمجد حميد التميمي

يحاول الباحث العراقي أمجد حميد التميمي تقديم مقترح النقد الثقافي التفاعلي من خلال كتابه مقدمة في النقد الثقافي التفاعلي، 2010. والذي خصصه لقراءة نقدية لقصائد رقمية أنجزها الشاعر العراقي عباس معن

يحاول التميمي تقديم مقترحه في النقد الثقافي التفاعلي شارحا ذلك بقوله: " إن ما أريد تقديمه هنا بإزاء القصيدة التفاعلية الرقمية هو ما أطلق عليه –بناء على متطلبات النص المحدّث- تسمية النقد الثقافي التفاعلي، تلبية لتطور الشكل الفني للقصيدة الشعرية العربية مع بداية الألفية الثالثة، وتحقيقا لمواكبة نقدية عربية لا تترك فجوة، ولا تظهر عجزا، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن النقد الثقافي التفاعلي لا يلغي ما سبقه من مناهج نقدية، ولا يترفع عليها، سوى أنه يلبي الحالة الجديدة التي وصلت إليها القصيدة العربية، وإن كانت على نحو التجريب."[13]

يشوب هذا المقترح كثيرا من الضبابية المنهجية، كونه يجمع بين مصطلح النقد الثقافي وبين تعبير "التفاعلي" مكونا تركيب النقد الثقافي التفاعلي. فإذا كانت مهمة النقد الثقافي هي البحث في الخطاب الأدبي عن الأنساق والتمثيلات الثقافية، وعلاقتها بالسياقات الثقافية والتاريخية والسياسية التي أنتجتها، فهل يعني هذا أن مهمة النقد الثقافي التفاعلي هي نفسها ولكن في النص الرقمي؟

من جهة أخرى هل يمكن للباحث أن يقدم ذلك دون أن يسلم من بعض الضبابية المنهجية، كونه مطالب بالتأسيس النظري والإثبات الإجرائي لهذا المقترح. ويظهر أنه سعى إلى إثبات ذلك بواسطة عرضه للأصول الفكرية والثقافية لمقترح النقد الثقافي التفاعلي، ثم قراءة القصيدة التفاعلية العربية عند الشاعر العراقي مشتاق عباس معن.

5-2-1-الأصول الفكرية للنقد الثقافي التفاعلي:

يقسم أمجد حميد التميمي هذه الأصول إلى قسمين، أصول فكرية ثقافية، وأصول فكرية تفاعلية. فيشمل القسم الأول مفاهيم: الحداثة والعولمة والثقافة. ويشمل القسم الثاني مفهومي: التواصلية والمشاركة.

-الحداثة:

يقدم أمجد التميمي النقد الثقافي التفاعلي "بوصفه الكفء للأدب التفاعلي، ولكي يرسخ هذا العنوان باصطلاحه ومفهومه المقصود، فلا بد من الحديث عن أصوله الفكرية الثقافية، ونجد أن ثقافية هذا النقد تنطلق من أصول رئيسية هي الحداثة والعولمة والثقافة."[14]

يستند النقد الثقافي التفاعلي إلى أصل الحداثة باعتبارها دعوة إلى التحديث والتجديد، فهي تجمع بين "الإنتاج الذي أصبح أكثر فعالية بفضل العلم والتكنولوجيا والإدارة من جانب وبين تنظيم المجتمع الذي ينظمه القانون والحياة الشخصية وتنعشه المصلحة، وكذلك الرغبة في التحرر من كل الضغوط من جانب آخر."[15]

إذا كان النقد الثقافي قد ارتبط في نشأته بمرحلة ما بعد الحداثة، فكيف للنقد الثقافي التفاعلي أن يرتبط بالحداثة؟

يسعى أمجد حميد التميمي إلى الإجابة عن هذا التساؤل من خلال قوله الآتي: " لست هنا بصدد الحديث عن الحداثة بالذات بل عن الحداثة بوصفها أصلا فكريا لثقافيّة النقد المناسب للأدب التفاعلي، وما يجعلني أركز على دور الحداثة وأثرها في نشر نزعة التجديد ومغايرة السائد والخروج عن المألوف، والبحث عن الجديد دائما ومحاولة اعتناقه وتبنيه وممارسته."[16]

يمكن للحداثة أن تكون أصلا فكريّا للنقد الثقافي التفاعلي انطلاقا من دعوتها لكل ما هو جديد، ومغايرة السائد، وذلك باعتبار أن الأدب التفاعلي هو رؤية جديدة بالنسبة إلى تاريخ الأدب الطويل المرتبط أساسا بما هو مكتوب.

يمكن أن تكون الحداثة أصلا فكريا للأدب الرقمي، باعتبارها قد وفرت المجال التكنولوجي له، ووفرت لها الوسائط، ولكننا نلمح في عصرنا هذا بروز سياق ما بعد الحداثة الذي جاء من أجلّ نقد ومراجعة طرح الحداثة، والدعوة إلى نقض كثير من مقولاتها. ومن "الملامح النظرية الرئيسية المرتبطة بما بعد الحداثة في الفنون نجد محو الحدود بين الفن والحياة اليومية وانهيار التميز التراتبي بين الثقافة الرفيعة والثقافة الجماهيرية والشعبية، وخلط الأسلوب وتفضيل الانتقائية وخليط من الشفرات والقواعد؛ جد في هزل، مزج المختارات الأدبية، السخرية، الهزلية..."[17]

-العولمة:

يرى الباحث أن العولمة قد كان لها دور في توفير السياق الفكري للنقد الثقافي التفاعلي، وذلك عندما أمدته "بنشاط يتيح له الحركة بحرية وتتبع واعي، وربما تكون قد أشارت إلى ضرورته حين صبغت الثقافة العامة والأدب والفنون المختلفة خاصة بطابعها التكنولوجي، فحين صار الجلوس أمام الشاشة الزرقاء يمثل بحد ذاته عملا مربحا ومتعة مؤنسة وتجوالا لاهيّا."[18]

تنطلق العولمة من فكرة أساسية وهي جعل العالم قرية واحدة، وهو ما تحقق مع ما أصبح يوصف بأنه عالم افتراضي معولم، تتشارك فيه كل المجتمعات، وجميع سكان العالم دون أن يكون بينهم لقاء واقعي /فيزيائي. وقد ساهمت العولمة في علاقاتها مع الإنترنيت في إنشاء مجتمعات المعرفة، والجماعات الافتراضية، والمواطن الرقمي والوطن الرقمي والطب الرقمي

لقد كان لشبكة الإنترنيت دورا هاما وأساسيا في الوصول إلى الكوكبية باعتبارها امتدادا لظاهرة العولمة.

-الثقافة:

تعد الثقافة عنصرا مركزيا في تشكيل معالم النقد الثقافي التفاعلي، خاصة أن النقد الثقافي قد اتخذ منها موضوعا له، وبذلك كانت أصلا أساسيا في تشكيل ملامح النقد الثقافي التفاعلي. كما إن الثقافة ذات صلة عضوية بمجال النقد الثقافي، الذي" يتخذ من الثقافة بشموليتها موضوعا لبحثه وتفكيره."[19]

وبناء على ذلك يرى أمجد حميد التميمي أن "ما قطعته الثقافة بتشكلها ودرسها ونقدها من أشواط، وصولا إلى النقد الثقافي، يجعل منها أصلا فكريا مهما لثقافية النقد، وجزءا مهما من عملية الكشف عن جماليات الأدب التفاعلي ولا سيما القصيدة الرقمية التفاعلية."[20]

ويبدو أنه عند الحديث عن علاقة الثقافة بالنقد الثقافي التفاعلي، يستحضر حديثا عن مسمى الثقافة الرقميّة، التي لها علاقة وطيدة بظاهرة الفجوة الرقميّة، التي أصبحت من التحديات الراهنة التي تشغل الدول والشعوب وتقسم العالم إلى مجتمعات المعرفة الرقميّة، تنتجها وتسيطر عليها ومجتمعات فاقدة لها، تستهلكها دون وعي بها.

5-2-2. الأصول التفاعليّة للنقد الثقافي:

-التواصلية:

يعد التواصل بين أطراف العملية الإبداعيّة أس تحقيق عملية التفاعل بين المتلقي والنص الرقمي، مما يجعل "التفاعل في النص الرقمي لا يتخذ مستوى واحدا، لكنه يعيش في مستويات متنوعة تتشابك فيها التفاعلات البصرية والصوتية واللغوية بالصورة والصوت واللون."[21]

تسهم التواصليّة في الجمع بين كثيرين من المتلقين للنص الأدبي الواحد، كما تجعل منه نصا متفرعا، ومتشابكا لهذا فلن تكون القراءة قراءة خطية، بل هي قراءة متفرعة ومتداخلة متحررة من خطيّة القراءة التي كانت شائعة في الأدب الورقي.

ويرى أمجد حميد التميمي أن التواصلية قد وفرت "أصلا فكريا ذا قيمة معاصرة للتفاعل بين الأديب والمتلقي، فالمجتمع الجماهيري العالمي بعد أن بدأ يسير نحو التعارف والحوار والتبادل أكثر فأكثر عبر تقنيات ووسائل ونظريات الاتصال الحديثة أصبح قريبا جدا من بعضه، وأشد تماسكا وأكثر تواصلا، مما يستدعي التفاعل فكريا فيما بين أجزاء المجتمع المختلفة."[22]

ب-المشاركة:

تعد المشاركة من أهم الشروط التي تحقق عنصر التفاعل بين الأفراد والجماعات، ومقولة المشاركة ذات علاقة وطيدة بمسمى المشاركة الديمقراطية في وسائل الإعلام الحديثة، حيث إنّ دمقرطة المشاركة، هي دعوة صريحة إلى حق وصول وسائل الاتصال إلى كل الجماهير مع التركيز على الأقليّات والأفراد.

وتركز المشاركة على عدم وقوع المتلقي تحت سيطرة المنتج/المبدع، كما تتيح مشاركة عدد من المتلقين في قراءة نص أدبي واحد، وذلك لإعادة تشكيل هذا النص من منظور متعدد ومتفرع، وهو ما دفع ببعض النقاد بتسمية النص الرقمي بالنص المتفرع. حيث إن قراءة النص من قبل عدد كبير من المتلقين يمنح له فرصة "إعادة تشكيله بأكبر عدد من الخصائص المرغوبة عبر التقنيات الرقمية باستعمال الحاسوب، وعبر اختيار المتلقي لهيكلة البناء النصي الأدبي."[23]

تبقى هذه الأصول التي اختارها الباحث العراقي أمجد حميد التميمي هادفا من خلالها إلى التأسيس لمسمى النقد الثقافي التفاعلي عناصر نظرية تحتاج إلى إثبات إجرائي. وهو ما سيقوم به الباحث في المباحث التطبيقية لكتابه –محلّ الدراسة-

لكن يجب أن نسجل ملاحظة هامة تتعلق بمقترح النقد الثقافي التفاعلي، حيث إننا نرى أنه تسمية فيها لبس وضبابية، فالتفاعليّة تحتاج إلى شروط بعينها؛ فهي تحتاج وجود مرسل ومتلقي/ناقد ونص في الوقت نفسه، لتتم بذلك عمليّة التفاعل بين طرفي العمليّة، مما يحقق صفة النقد التفاعلي. هذا من جهة.

من جهة ثانية هل كل تفاعل بين مرسل ومتلقي ينتج لنا فعلا مسمى النقد التفاعلي، أم إننا نحتاج إلى نظرية أدبية تكون بمثابة التأسيس النظري والمعرفي لهذه الممارسة النقدية التفاعلية؟ وربما ما يثبت حيرتنا هذه أن مسمى النقد التفاعلي في السياق العربي لا يتمظهر عمليا إلا عبر الكتب الورقية، أي إن الناقد التفاعلي هو ناقد تقليدي يعيد نقد النصوص الرقمية بواسطة الكتابة الورقية. وهو ما ينفي شرط التفاعل والرقميّة.

- خلاصة:

نقف في نهاية هذه الورقة عند جملة من الإشكالات الأساسية، أولها ترتبط بالعلاقة الموجودة بين النقد الثقافي وبين الأدب الإلكتروني، بمعنى إننا نبحث في طبيعة النقد الثقافي التفاعلي، هل هو نقد يبحث في الأنساق الثقافية للنصوص أم أنه يبحث في صورة وطريقة ووظيفة الأدب الرقمي؟ وثانيها أن تسمية النقد الثقافي التفاعلي مجازفة معرفيّة ونقديّة، والسبب في ذلك أن الممارسات النقدية التي تتبنى هذه الصفة لا تزال منشغلة بالشق الثاني من السؤال، إيّ البحث في مفهوم الأدب الرقمي، وأشكاله ووظيفته.

- الإحالات والهوامش:

[1]- فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص19.

[2]- أمجد حميد التميمي: مقدمة في النقد الثقافي التفاعلي، كتاب-ناشرون، بيروت، ط1، 2010، ص33

[3]-زهور كرام: الأدب الرقمي، منشورات دار الأمان، الرباط، ط2، 2013. ص18

[4]- المرجع نفسه، ص 27.

[5]- إبراهيم أحمد ملحم: الأدب والتقنية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2013، ص 15

[6]-زهور كرام: الأدب الرقمي، ص34

[7]-أمجد حميد التميمي: مقدمة في النقد الثقافي التفاعلي، ص37

[8]-المرجع نفسه، ص 38

[9]-المرجع نفسه، ص 44، 45.

[10]-ينظر: سعيد يقطين: من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 2005، ص 10.

[11]-المرجع نفسه، ص 29.

[12]-المرجع نفسه، ص 22

[13]-المرجع نفسه، ص9.

[14]- أمجد حميد التميمي: مقدمة في النقد الثقافي التفاعلي، ص 7.

[15]-المرجع نفسه، ص 9

[16]-المرجع نفسه، ص 16

[17]- مصطفى بن تمسك: الحداثة الأوربية، مؤمنون بلا حدود، بيروت، ط1، 2018، ص 38.

[18]- مايك فيزرستون: ثقافة الاستهلاك وما بعد الحداثة، ترجمة، فريال حسن خليفة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2010، ص 48.

[19]- أمجد حميد التميمي: مقدمة في النقد الثقافي التفاعلي، ص ص 25،26

[20]- أمجد حميد التميمي: مقدمة في النقد الثقافي التفاعلي، ص ص 25،26.

[21]- ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط4، 2005، ص305.

[22]-أمجد حميد التميمي: مقدمة في النقد الثقافي التفاعلي، ص32

[23]-المرجع نفسه، ص 45

- قائمة المصادر والمراجع:

1- إبراهيم أحمد ملحم: الأدب والتقنية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2013.

2- أمجد حميد التميمي: مقدمة في النقد الثقافي التفاعلي، كتاب-ناشرون، بيروت، ط1، 2010.

3- زهور كرام: الأدب الرقمي، منشورات دار الأمان، الرباط، ط2، 2013.
4- سعيد يقطين: من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 2005.
5- فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 2006.
6- مايك فيزرستون: ثقافة الاستهلاك وما بعد الحداثة، ترجمة، فريال حسن خليفة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2010.
7- مصطفى بن تمسك: الحداثة الأوربية، مؤمنون بلا حدود، بيروت، ط1، 2018.
8- ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط4، 2005.